أرسل انيبال الى قرطجنة عدّة امداد ممتلئــةً بالخواتم والفتخ الذهبية التي احذها اسلاباً من قتلى اشراف الرومانيين ولكن لم نجدُ لهُ في تضاعيف التاريخ ذكرَ مُنكَر أتاه، ولم يسفكْ دمَ انسانٍ بلا حرب . فينتج من كلامنا انّ شهادةَ المؤرخ الروماني تعودُ على قائدنا هذا بالفخر والشرف

وبالاختصار فان أقوالَ التواريخ والازمنة التي توالت بعد هذا البطل سيردّدها جميعُ الأمم والأجيال الى منقضى العالم . وذلك أنّ مظهرَ حياةِ هذا القائد المجيد ، لهو أشرفُ مظاهر الحياة البشرية في هذه الدنيا لدلالتهِ على همةٍ عالية ، ومدارك ساميــة يندرُ وجودُها ، خصوصاً حياته خلت عن كل أرَبٍ شخصي ، وأثرة ذانية ، لم يلابسها الاّ هوى فرد ، ألا وهو حبُّ الوطن حتى انهُ قضى أخيراً شهيد محبته لوطنه

يوليوس قيصر

قائد روماني ولد سنة ١٠٠ قبل المسيح وتوفى سنة ٤٤ ق- م-

ها انّا موردون ترجمة شهيد آخر لم يتفانَ في حبّ وطنهِ ، ولكن ذهب قتيل الطمعِ — نريد بهِ هذا الرجل العجيب المنقطع النظير ، الذي لم يكن يخلو عن ضربٍ من ضروب النقائص والرذائل ، وكانت حياتهُ كلهــا عبارةً عن سلسلة تعدّياتٍ على وطنهِ

وبالجملة فانّ هذا الرجلَ هو « قيصر » ثالثُ الرجال العظام المشاهير في الاقدمين . ولُدَ ونشأ وشبّ متحلياً بصنوف الصفات، فانهُ كان شجاعاً فصيحاً لطيفاً كريماً جواداً مفرطاً في السخاء ؛ بيدَ انهُ كان يؤثرُ السذاجةَ في اعماله ؛ ولكن لم يكن عندَه اقلُّ همّ في ان يفرق بين الخير والشرّ ، لا في العمل ولا المبدأ . وكان قصارى همهِ ومبدأ جميع أعماله طلب الغاية التي قصّر عن بلوغها

« ماريوس » و « سيلاّ » [1] نريد بها التسلط على وطنهِ . كان قصد الاسكندر الاستيلاء على جميع العالم المعروف وقتئذٍ ؛ ووقف انيبال حياتهُ كلهـا على وقاية وطنهِ من النشوب في عبوديةِ الأعداء . أما قيصر فكانت غايتهُ القصوى أن يملك رومة التي تفرَّدت بالاستيلاء على كلّ الدنيا تقريباً . ونراهُ قد اتخذ كلَّ الوسائل إدراكاً لهذه الغاية ، غيرَ متذمّم من الاسفاف الى الذرائع السافلة ، بيدَ أنهُ لم يَرِدْ مواردَ الجور والجنَفِ تفادياً من الارتطام باغلاط « ماريوس » و سيلاّ » . وقد تدرَّج في الخطط والمراتب من وظيفة إديل [2] الى وظيفة بريتور [3] ثم الى رتبة رئيس أحبار العاصمة ؛ وعقد ديوناً رابيةً ليرشوَ المنتخبين ، لأنَّ كلَّ هذه الوظائف كانت تُنال بالانتخاب ، واستغوى الرجال والنساء ، مستفسداً المتزوّجين وغيرهم استفسادَهُ عامة الشعب . وما كفاهُ ما أتاه من ضروب الفساد حتى عمد الى استعمال الوسائط الأدبية ، فأصبح أعظمَ خطيبٍ في رومة بعد شيشرون . وما زال حتى صار علّة عدة كثيرين من بوادر الفرَح والريب في رومة ؛ فأعينهُ الاقامةُ بهـا فاتفق مع كراسوس البخيل ، وبمبيوس المتكبر [4] ، واختصَّ نفسهُ بحكومة ولاياتِ غاليا قصدَ تدويخ هذه البلاد الواسعة ، لا ليزيدَ مجدَ رومة ، بل ليحشدَ عساكرَ قاهرةً ، ويجمع أموالاً وافرةً ، فيقضي ديونهُ وديونَ أشياعهِ

فأقام مدة ثماني سنين في غاليا يحاربُ أيامَ الصيف ، ويعودُ آونة الشتاء الى دسّ الدسائس ، ويديرُ من معسكرهِ في ميلانو مجرى عجرفة بمبيوس وبخل

---

(١) ماريوس وسيلا قائدان رومانيان شهيران بانتصاراتهما على اعداء رومة ولاسيما بشدة تعاديهما . ولد الاول سنة ١٥٧ وتوفي سنة ٨٥ ، والثاني ولد سنة ١٢٧ وتوفي سنة ٧٨ وقد استبدّا برومة على التعاقب

(٢) اديل Edile مأمور اخص وظائفه النظر في بنايات المدينة وتولي الالعاب

(٣) بريتور Préteur اي كبير قضاة رومة ، ومن كان في الولايات متقلداً مثل هـذه الوظيفة يدعى حاكماً أيضا

(٤) كراسوس كان أغنى اهل عصره وبمبيوس الكبير كان اعظم الرومانيين بعد قيصر وهما قائدان رومانيان قد شاركا يوليوس قيصر في انشاء ما هو معروف تاريخاً بحكومة الثلاثة الرجال الاولى Premier triumvirat

كراسوس . وبذلك تسلّط مدة عشر سنين على مجرى الأحوال الرومانية . ثم لما توفيَ كراسوس في آسيا ، ولم يبقَ بينهُ وبين بمبيوس رجلٌ ثالث يمنع تماديهما في الطمع والبغي ، عمد أولاً الى استعمال الحيل لإرجاء القتال بينهما ، اذ كان قد شعر بسوء عاقبتهِ ، حتى انهُ لما تعذَّر عليهِ مجانبةُ القتال ، اجتاز نهر روبيكون[1] وسار لمساورة بمبيوس ، وعساكرهُ اذ ذاك في اسبانيا ، فالجأهُ الى الفرار من ايطاليا الى بلاد ابيروس ، وهناك ترك كما قال مدلاًّ بسطوته ، قائداً بلا جيش ، وذهب الى اسبانيا فشتت جحافل بمبيوس التي كانت بأمرة افرانيوس . ثم غادر اسبانيا ، واجتاز ايطاليا مسرعاً شاخصاً الى ابيروس إدراكاً لعدوّهِ . فصادف بمبيوس نفسه وجعل يقاتله الكرَّةَ بعد الكرة ، وكانت الوقعة الفاصلة لتلك الحرب الشهيرة سهول « فرسال » فتغلّبَ عليهِ ، واستأثر بالسلطة المطلقة ، فلاذ بمبيوس بالهرب منهُ خوفاً الى ان لاقى اجله قتيلاً في مصر

ثم إنَّ قيصر جعلَ يتعقبُ بقايا حزب بمبيوس في افريقية واسبانيا ، وقهرهم كافةً ، وفتح شمالي آسيا . ثمَّ عاد الى رومية ليتلذَّذ بثمارِ انتصاراتهِ على جميع اعدائهِ ومناوئيهِ . ثم اسَّس فيها ما يعبَّرُ عنهُ بالامبراطوريَّة الرومانية ، ولكنهُ ذهب قتيلاً بمتكةِ الجمهوريين ، لأنهُ اراد الإسراعَ في وضعِ الاسم للمسمَّى ، بعد ان ملك العالم مدة تزيد على اربع سنوات[2]

فما سبق ايرادهُ من اخبار هذه الحياة يرى ان كل الوسائلِ والتدابيرِ المذكورة كانت سيئة كالغاية التي سعى اليها قيصر . ولكن ينبغي ان يعترَف لهُ بالفضل من جهةٍ واحدة وهي انهُ قصد ان يحوّل هيئة الحكومة من كونها جمهوريَّة الى كونها امبراطوريّة . ليس بأنواع القتل وسفك الدماء ، كما فعل ماريوس وسيلاّ ،

---

(١) رويكون نهر صغير في شمالي ايطاليا قد قضى مجلس النبلاء « الشيوخ » برومة ان كل ما يعبره مسلحاً يحسب عدواً للرومانيين

(٢) يراد بالقول « وضع الاسم للمسمى » أنه أسس الامبراطورية اي سلطة شخص واحد ولكنه لم يستطع تغيير اسم الحكومة فبقي اسمها جمهورية رومانية وحين اراد المناداة بالملك قتلوه وذلك سنة ٤٤ قبل المسيح

ولكن بتعطيل الآداب الملائمة اخلاق الرومان ، وبحسب قوّةِ العقل المناسبة لسموّ مداركهِ . وبالجملة فانَّ هذا الرجلَ الغريب الذي كان من اعظم ارباب السياسةِ ، وخطيباً شهيراً وبطلاً صنديداً ، وعائقاً فى الارض فاسدَ الاخلاق ، يظلم بلا رحمةٍ ، ويرحم بغير حدّ ولا قياس ، لهُ مزيةٌ خاصة بهِ دون سواه . وهي انهُ خُلق عجيب يخبرعنهُ آخر الدهر بكونهِ اكمل انسان وجد على الارض[1]

(للكلام صلة)

الاناشيد الوطنية

قال أحَدُ مشاهيرِ كتّابِ الانكليز « إنَّ الذي يضعُ لحناً وطنياً لقومهِ يضعُ لهم قوانينَ جديدةً » . وهو قول لا مبالغةَ فيهِ . إذ أنَّ الاناشيدَ الوطنيّةَ هي التي شحذَت السيوفَ ، وحرَّرتِ الأرقّاءَ ، وكوّنتِ الأُممَ ، ورفعتِ الممالك ، ووحّدَت قلوبَ أهل البلد الواحد

وهي التي تُذكي نارَ الوطنيّة ، وتجلو صدأها ؛ يتوكأ عليها قوّادُ الأُمم اذا أجهدَهم السيرُ ، ويهشّونَ بها على اتباعِهم اذا حادُوا عن الطريق

ينشدُها الغريبُ فيذكر قومهُ ، ويرفعُ بها المنفي عقيرتَهُ فيتذكّرُ وطنهُ . فهي روحُ الوطنية ، والوطنيةُ قوامُ البلاد ؛ وهي رسولُ الشُّعور ، والشعورُ منبتُ الوطنية . وهي الصلةُ بين القلوب ؛ والقلوب منشأُ الشعور

وأفعلُ الأناشيدِ الوطنيةِ فى الأفئدةِ وأشدُّها تأثيراً على النفوس ما وافقَ لحنُهُ الموسيقيّ الفاظَهُ فامتزجا بمخيّلةِ « الشاعر الملحّن » قبل أن

(١) يراد باكمل انسان وجد على الارض أنه جمع في شخصه أصناف الصفات والخلال من حسنة وقبيحة مما لا يستجمع في غيره من الناس